مقال سحر البيان للمنفلوطي

دراسة تداولية

ا.د. محمد محمود أبوعلي

أستاذ النقد والبلاغة

كلية الآداب بدمنهور

منشور في كتاب المؤتمر العلمي السنوي التاسع لكلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١١-١٢ نيسان ٢٠٢١م

ملخص:

مقال سحر البيان للمنفلوطي .. دراسة تداولية

يوضح البحث المشروع الاجتماعي التوجيهي عند المنفلوطي من خلال الاستعانة بالاستشهاد بالنصوص التراثية في مقال "سحر البيان" بما يمتلكه الاستشهاد بالنصوص التراثية والشخصيات التاريخية من قدرة إقناعية، فقد استدعى في مقاله موقفين لشخصيتين مختلفتين من رواية (يوليوس قيصر) للكاتب الإنجليزي المشهور شكسبير يمثلان الخطاب الحجاجي التداولي، فكل شخصية من هاتين الشخصيتين تمتلك الوسائل الإقناعية في السياق التداولي للخطاب ما تمكنها من التأثير في المستمعين وفق الغاية التي تسعى إليها.

كما يوضح البحث طريقة استعمال المتحاورين الحجاج المغالط أثناء العملية التواصلية ليستدل كل طرف على صدق دعواه وفق الالتزام بالقواعد العامة لمبدأ التعاون ومبدأ التأدب أو خرقها، وجاءت الأفعال الكلامية في المقال متنوعة بين الأفعال التوجيهية والتعبيرية والتقريرية والإلزامية والتصريحية، وإن ظهرت الأفعال التوجيهية بصورة ملحوظة؛ إذ يهدف المنفلوطي إلى دعوة المتلقي إلى التخلص من العبودية، كما يهدف بروتس إلى دعوة الشعب إلى الإذعان والاقتناع بمقصده، كما يهدف أنطونيوس إلى إقناع الشعب بخطأ بروتس وتوجيههم إلى مقصده، فكانت تلك السلطة التوجيهية هي المسيطرة على المقال.

Abstract:

Sahar Al-Bayan article by Al-Manfaluti..a pragmatic study

The research clarifies the guiding social project of Al-Manfaluti by using the citation of heritage texts in this article “The Magic of the Statement” with the persuasive power of citing traditional texts and historical personalities. The deliberative argument, each of these two personalities possesses the persuasive means in the deliberative context of the discourse, which enables it to influence the listeners according to the goal it seeks, The research also shows the method of using the erroneous argumentative interlocutors during the communicative process so that each party infers the truthfulness of his claim according to adherence to or violation of the general rules of the principle of cooperation and the principle of politeness. Al-Manfaluti aims to invite the recipient to get rid of slavery, as Brutus aims to call the people to submit and be convinced of his purpose, and Antony also aims to convince the people of Brutus’ mistake and direct them to his purpose, and that guiding authority was controlling the article.

مقدمة:

يسعى المنفلوطي في مقال (سحر البيان) إلى ترسيخ غرض من أغراضه التي يسعى إليها في نظراته، إلى بث روح الحرية والتخلص من الذل والهوان، من خلال حث القراء على التخلص من السلبية التي هي صفة ملازمة للضعفاء في كل زمان وكل مكان، فالمنفلوطي يرى أن للأدب وظيفة اجتماعية توجيهية تؤكد عليها مقالاته في نظراته.

إن جزءًا كبيرًا من هذا المشروع الاجتماعي التوجيهي عند المنفلوطي يستعين فيه بالاستشهاد بالنصوص التراثية في هذا المقال بما يمتلكه الاستشهاد بالنصوص التراثية والشخصيات التاريخية من قدرة إقناعية، فقد استدعى في مقالته (سحر البيان) بوصفها نموذجًا للخطاب الحجاجي التداولي موقفين لشحصيتين مختلفتين من رواية (يوليوس قيصر) للكاتب الإنجليزي المشهور شكسبير، كل شخصية من هاتين الشخصيتين تمتلك الوسائل الإقناعية في السياق التداولي للخطاب ما تمكنها من التأثير في المستمعين وفق الغاية التي تسعى إليها.

فالمنفلوطي يقدم لنا موقف الشخصيتين من خلال سياقين مختلفين لقضية واحدة، وهي قضية مقتل قيصر، سياق المؤيد من جانب بروتس، وسياق المعارض من جانب أنطونيوس، وسنعرض لخطاب الفريقين لنوضح الوسائل الإقناعية لديهما، ولنوضح القوة التأثيرية لكل طرف من طرفي الخطاب في نفوس المتلقين.

أما المنفلوطي فيوضح لنا خلال الموقفين أثر سحر البيان على حد تعبيره في الجماهير، وهي الغاية التي يسعى لتوضيحها من خلال الاستشهاد بذلك الموقف من هذه المسرحية صورة "**العامة عامة في كل عصر، والشعب شعب في كل مصر، وأن سواد الأمة تحت صرح فرعون مثله تحت عرش قيصر**"[1] تلك الصورة التي يسعى المنلفوطي من خلال مقاله إلى محوها من نفوس المصريين من متلقي خطابه.

(١) المنفلوطي، النظرات، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠٢- ١٩٨٢: ٢/ ١١١.

وقد أخذت بمقترحات اللسانيات التداولية في معرض تحليل وظائف الاستشهاد بالنص التاريخي، فكيف يمكن تفعيل المداخل المنهجية للتداولية والحجاج في الكشف عن غرض المنفلوطي من الاستشهاد بالنص التاريخي في معالجة مشكلات المجتمع.

وكيف يمكن توظيف المداخل المنهجية للتداولية في الكشف عن القوة الإنجازية في خطاب بروتس وأنطونيوس.

إن إقناع المتلقي بالرسالة المراد تبليغها يعتمد اعتمادًا كبيرًا على كيفية استعمال اللغة:

- من يتكلم؟ ماذا يقول تحديدًا؟ لمن؟ لماذا يتكلم بهذا الشكل؟ لماذا يقول كلامًا ويقصد به شيئًا آخر؟ ما أثر الكلام في نفوس المتلقين؟

كاتب النص هو المنفلوطي الأديب الكبير ، وهو مقال في كتابه النظرات، فماذا يريد أن يقول من خلال مقاله؟ وما الوسائل التي من خلالها أرسل رسالته؟ وماذا يريد تحديدًا؟

المنفلوطي يسرد لنا موقفًا من رواية "يوليوس قيصر" للأديب المشهور شكسبير يحكي من خلالها "موقفا لبطلين من أبطال الفصاحة، وفارسين من فرسان البيان قد وقف كل منهما من صاحبه موقف اللاعب من اللاعب، ووقف الشعب الروماني بينهما موقف الكرة بين مضارب الأقدام تعلو بها حينا وتسفل أحيانا ، فلا تثبت صاعدة ولا تستقر هابطة "**فعلمت أن العامة عامة في كل عصر، والشعب شعب في كل مصر، وأن سواد الأمة تحت صرح فرعون مثله تحت عرش قيصر، وأنه في رأس التاريخ اليسوعي مثله في ذنب التاريخ المحمدي، تدنو به كلمة وتنأى به أخرى، وتجذبه دمعة وتدفعه ابتسامة، وتطير بلبه الشعريات والخيالات طيران الريح الهوجاء بذرات الهباء**"[٢]

فالمنفلوطي يريد أن يوصل رسالته للمتلقي عن طريق إنجاز فعل الإخبار لأنه ينقل الحكاية واقعيًّا.

أولا : عرض مدونة البحث:

(٢) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١١.

يعكس المنفلوطي في مقالاته بصفة عامة صورة المجتمع بكل حالاته الدينية والدنيوية، فيبحث في المجتمع عن الرحمة والفضيلة والحرية والأخلاق لمواجهة القهر والعبودية والفقر والذل والهوان والفواحش والفساد ..إلخ، تلك نظرته الاجتماعية في النظرات.

وقد جاء مقال (سحر البيان) للمنفلوطي بوصفه أحد مقالات النظرات يبحث في ذلك أيضًا، عن الحرية والتخلص من العبودية، وكان اختيارنا لهذا المقال مراعيًا لمجموعة من الشروط التي تأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الحوارية للخطاب التداولي، فالمقال يقدم نصًا حواريًّا يتضمن مجموعة من الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة ويعكس البعد التفاعلي للخطاب، وقد استطاع المنفلوطي أن يصيغ مقاله بشكل تفاعلي أقرب إلى التواصل بين شخصين في الاستعمال اليومي للغة الذي هو قبلة أو وجهة الدراسات اللسانية الحديثة مثل التداولية.

بدأ المنفلوطي مقاله بداية مباشرة، فقال: "**رأيت في إحدى روايات شكسبير وهي الرواية المعروفة برواية "يوليوس قيصر**"[٣] وهي بداية إخبارية مباشرة، ولعل المنفلوطي في ذلك أراد أن يأخذ جانبًا ويسلط الضوء على نقطة معينة، هي موقف شخصيتين من شخصيات الراوية – على حد تعبير المنفلوطي– ليطلع المتلقي من خلال موقف الشخصيتين على الغرض الذي يسعى إليه.

ويعد استشهاد المنفلوطي بهذا الجزء من النص المسرحي رغبة منه في مشاركة المتلقين لمقاله مشاركة تشبه تلقي الجمهور للأعمال المسرحية التي تُحدث التأثير المباشر بين الممثلين أو الشخصيات التي تقدم كلام المؤلف والجمهور الحاضر للعمل المسرحي.

والمنفلوطي منذ بداية المقال يصرح بموقفه من موقف الشخصيتين تجاه مقتل يوليوس قيصر كما سنوضح ذلك فيما يأتي.

قدم المنفلوطي وصفًا للشخصيتين الرئيسيتين في مقاله، وهما كذلك في مسرحية يوليوس قيصر، "**رأيت .. موقفًا لبطلين من أبطال الفصاحة، وفارسين من فرسان البيان**"، فهل يراهما المنفلوطي بطلين أو فارسين في غير البلاغة والبيان؟ هل ما أحدثاه من تأثير في الشعب عقب خطبة كل واحد منهما يعد نجاحًا من الناحية التداولية؟ هل يرى المنفلوطي عيبًا في تأثيرهما في الشعب أم أن العيب في الشعب نفسه؟

هل نجح بروتس في إنجاز الأفعال الكلامية؟ وما الأفعال المتضمنة في القول؟ وما الأثر الناتج عن القول؟

---

(٣) السابق، والصفحة نفسها.

وهل نجح أنطونيوس في إنجاز الأفعال الكلامية؟ وما الأفعال المتضمنة في القول؟ وما الأثر الناتج عن القول؟ وكيف استطاع إقناع الشعب بعكس كلام بروتس؟

ثانيا : التحليل التداولي:

تعددت تعريفات التداولية لدى الباحثين، غير أن فكرة الاستعمال[٤] هي المسيطرة على جميع التعريفات، واستعمال اللغة لا بد له من مستعملين، واللغة تستعمل في المواقف والسياقات المختلفة، والتدولية تدرس استعمال اللغة من قبل المستعملين في المواقف والسياقات المختلفة، فهي دراسة اللغة في الاستعمال، لذلك فالمعنى التداولي هو المعنى المقصود من استعمال اللغة في السياق، بعيدًا عن المعنى النحوي أو القاعدي للغة، وبناء على ذلك فالتحليل التداولي للنص يعتمد على تحديد أنماط التبادل المعرفي والأدائي[٥] والوظائف الكلامية.

والتبادل المعرفي يركز على تبادل المعلومات واستيضاحها وتقديمها والإعلان عن طروحات ووصف الوقائع وما إلى ذلك.

أما التبادل الأدائي فيركز على النشاط، على ما يفعله الناس أو ما يجعلون غيرهم يفعلونه، وإذا نظرنا إلى هذين النمطين في مقال (سحر البيان) فإننا سنجد أن النمط المعرفي يتمثل في المعلومات التي قدمها المنفلوطي للقراء ويوضحها ويعلن عنها ويصف فيها الضعيف وحالة الشعوب، ويمكن تلخيص الأداء المعرفي للمنفلوطي في نصين من مقاله الأول، قوله:

> **"فعلمت أن العامة عامة في كل عصر، والشعب شعب في كل مصر، وأن سواد الأمة تحت صرح فرعون مثله تحت عرش قيصر، وأنه في رأس التاريخ اليسوعي مثله في ذنب التاريخ المحمدي، تدنو به كلمة وتنأى به أخرى، وتجذبه دمعة وتدفعه ابتسامة، وتطير بلبه الشعريات والخيالات طيران الريح الهوجاء بذرات الهباء"[٦].**

---

(٤) انظر عن ارتباط التداولية بفكرة الاستعمال: عيد بلبع، التداولية البُعد الثالث في سميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، دار بلنسية، شبين الكوم– المنوفية، مصر، ط٢٠٠٩،١م، صـــ٢٥.

(٥) راجع عن هذه الأنماط: نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة، مراجعة نجوى نصر المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص ٢٠٥.

(٦) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١١.

والثاني قوله:

"وهكذا استطاع أنطونيوس في موقف واحد أن يستعبد الشعب الروماني لنفسه وما كاد يخلص من استعباد قيصر، وهكذا الأمم الضعيفة لا مفر لها من العبودية لحملة التيجان، أو حملة البيان"[٧]

إن التبادل المعرفي والتبادل الأدائي متداخلان في الخطاب الحواري؛ لأن "التبادل هو تتابع من دورين أو نقلتين تحادثيتين يرافقهما تناوب المتكلمين، وحيث يؤدي ورود النقلة (أ) إلى توقع ورود النقلة (ب)، وهكذا دواليك"[٨]، فإذا نظرت إلى موقف بروتس وأنطونيوس مع الشعب ستجد أن التبادل بينهما يتتابع من دورين يرافقهما تناوب بروتس مع الشعب في مواضع (انظر خطبته للشعب)، وتناوب أنطونيوس مع الشعب في مواضع (انظر خطبته مع الشعب)، وخلال الحوار يحدث التبادل المعرفي فيحاول بروتس وأنطونيوس أن يقدما المعلومات ويقوما بتوضيحها والإعلان عن الغرض الذي يسعى إليه كل منهما، وفي أثناء ذلك يحدث التبادل الأدائي أيضًا الذي غالبًا ما يهدف إلى إنجاز الأفعال وليس مجرد قولها فقط، أي القيام بأفعال، أو جعل آخرين يقومون بها.

وتحدد الوظائف الكلامية الأساسية في الحوار بالاستناد إلى النقلات المختلفة في مختلف أنماط التبادل، فالتبادل الأدائي يبدأه القائم بالفعل كما يبدأه غير العارف بالفعل عن طريق التبادل، وكذلك التبادل المعرفي يبدأه العارف وغير العارف، مثل التمييز بين الوظائف الكلامية، فالطلب قد يتضمن أمورًا ليست من الطلب بالمعنى العادي للكلمة، نحو قول بروتس: "**بل أريد منكم أن تنظروا إلى قضيتي نظر المستيقظ الحذر الذي لا يعطي هوادة ولا يسلس قيادا ولا ينام عن شاردة ولا واردة**"[٩]؛ فهو قول خبري لكنه يحمل معنى الطلب أو التمني.

ثالثا : مقصد المتكلم:

---

(٧) السابق: ٢/ ١٢٣.

(٨) نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة: ص ٢٠٧.

(٩) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٣.

هناك اختلاف بين معنى الجملة ومقصد المتكلم، فمعنى الجملة يرتبط بصورة أساسية بالأعراف التقعيدية المعيارية النحوية، وهو ما يعرف بالمعنى اللغوي، وهذه الكلمات والجمل والعبارات التي ترتبط بصورة أساسية بمواضعات اللغة، إذا كانت محملة بأفكار المتكلم فإنها لا تمتلك المعنى اللغوي فحسب؛ وإنما تمتلك أيضًا مقصد المتكلم، فالمتكلم يضفي معنى إلى المعنى.

والمتكلم يستعمل اللغة لأداء الفعل الكلامي، وعندما يؤدي المتكلم فعلًا كلاميًّا فإنه يفرض قصديته على العبارات والجمل، وعندما يقول شيئًا ويقصد شيئًا آخر فإنه ينجز فعلًا قوليًّا، فالمتكلم عندما يعبر عن مشاعره ورغباته ومخاوفه وآماله، فإنه ينجز فعلًا قصديًّا، ويظهر المعنى التداولي بوضوح في الانحرافات الأسلوبية، وتمثلها مبادئ الحوار، وسنوضح ذلك من خلال مبدأ التعاون ومبدأ التأدب.

رابعا :الأفعال الكلامية:

يحاول المنفلوطي من خلال مقاله أن يغير في معتقدات المخاطبين، والتغيير في معتقدات المتلقي يتوقف في الحقيقة على ما يحتويه سياق الخطاب من قوانين ومعطيات ترتبط بالأعراف الاجتماعية والنفسية لأطراف الحوار؛ فالكلام الإنساني ذو طبيعة اجتماعية، واللغة في حد ذاتها ظاهرة اجتماعية، ومعنى ذلك أن الكلام لا يمكن تفسيره معزولًا عن سياقه الاجتماعي(١٠)، ولذلك أدرك اللسانيون أهمية معرفة السياق في فهم مقصد المتكلم، وجاءت التداولية للقضاء على القطيعة المعرفية للبنيوية بالسياق المحيط بالنص، وأخذت على عاتقها دراسة اللغة في سياق الاستعمال أو قيد الاستعمال، فلا يمكن تفسير جملة من قبيل: "**أحرقوا القتلة، مزقوهم، لا تبقوا على أحد منهم**"(١١) معزولة عن سياقها الذي قيلت فيه، فالمتلقي لا يستطيع أن يفهم مقصد المتكلم دون معرفة ملابسات ذلك القول، دون أن يعرف مَنْ المتكلم؟ ولمن؟ ولماذا يتكلم بذلك الشكل؟ وما الأثر الناتج عن ذلك القول؟

---

(١٠) انظر عن ارتباط اللسانيات بالسياق الاجتماعي:

Labov, William. (1972). Sociolinguistic Patterns, University of Pennsylvania Press, p160.

(١١) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١٢١.

فالمتكلم عندما يتلفظ بالكلام، فإن ما يخرج من فمه يكون: عبارة، أو سؤالًا، أو شرحًا، أو أمرًا، أو طلبًا، أو وعدًا، أو نصيحة .. إلخ، وهذا الكلام يتضمن الظواهر اللغوية والبلاغية والاجتماعية والثقافية والأدبية وغير ذلك من الظواهر، وكل كلمة مما يخرج من فم المتكلم من الكلام العادي تعد إنجازًا لفعل كلامي؛ لأن المتكلم عندما يتلفظ قد يصيغ عبارة، أو يطرح سؤالًا، أو يصدر أمرًا، أو يطلب طلبًا، أو يعرض عرضًا، أو يشرح درسًا، أو يتوقع حادثة في المستقبل، أو يصف شيئًا .. إلخ.

وكل هذه المجموعات وغيرها أطلق عليها أوستين (AUSTIN) الأفعال الكلامية (speech acts)، وهي "ما تكون لتأديتها بعض الآثار من دلالة الالتزام نتيجة قول القائل لشيء ما"[١٢] وأدخل سيرل عليها بعض التعديلات، فميَّز بين الأفعال المتضمنة في القول التي هي الهدف في نظرة الأفعال الكلامية، وبين الآثار التي تتركها الأفعال المتضمنة في القول على المستمعين، والتي يطلق عليها الفعل الناتج عن القول.

وإذا نظرنا إلى مقال (سحر البيان) فإن المنفلوطي بدأ مقاله بقوله: "**قرأت في...**، فالمنفلوطي يحكي لنا موقفًا وهذا فعل متضمن في القول، والفعل المتضمن في القول يتعين إنجازه عن قصد؛ إذ لا بد أن يكون للمنفلوطي مقصد من كلامه حتى ينجز الفعل، أما الفعل الناتج عن القول أو التأثير الناتج عن القول في المتلقين فيكون دون قصد "فالأفعال المتضمنة في القول يتعين إنجازها عن قصد. إذا لم أقصد أن أقدم وعدًا أو أضع تقريرًا، فأنا لا أقدم وعدًا أو أضع تقريرًا"[١٣]، فالمنفلوطي يقصد من مقاله أن يدعو المتلقي إلى التخلص من قبول الذل والهوان يدعوه إلى الحرية، يدعوه إلى التخلص من الكلام الجميل دون الفعل الجميل، يدعوه إلى التخلص من التحكم الظالم ..إلخ، ومن ثم فإن فعله الكلامي قد أُنجز، أما التأثير في المتلقي، فقد يكون إيجابيًّا أو سلبيًّا، وقد تحمل أو تستميل مقالة المنفلوطي بعض القراء أو المستمعين إلى التأثر بشيء آخر لم يقصده المنفلوطي، لذلك يقال إن الفعل الناتج عن القول لا يشترط القصد لإنجازه، فـــ"الأفعال عن طريق القول لا يتعين إنجازها عن قصد؛ إذ ربما تستميل شخصًا بشيء ما، أو

---

(12) How to do things with words: J. L. AUSTIN , Oxford University Press, Amen House, London, E .C .q, 1962, p.91.

(١٣) جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: صلاح إسماعيل،المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١١، عدد ١٨١٢، ص١٧٣.

تحمله على أن يفعل شيئًا ما، أو تزعجه، أو تسليه من غير أن تقصد إلى فعل ذلك قصدًا"[١٤] فالأفعال المتضمنة في القول هي المعنية في المقام الأول في التواصل؛ لأن المتكلم عندما يقول قولًا ما فإنه يحاول أن يوصل ما يعنيه إلى المستمع؛ فإذا نجح في توصيل مقصده، فسوف ينجح في إنجاز فعلًا متضمنًا في القول.

خامسا : شروط النجاح:

إن غاية اللغة لا تكمن في تزويد المتلقي بالمعلومات فحسب، وإنما تجعل المخاطب يلتزم سلوكًا لغويًّا أو اجتماعيًّا معينًا تجاه المتكلم، وتحدد العلاقات بين المتخاطبين، وتعمل على تغيير معتقداتهم ويتوقف ذلك على ما لسياق الخطاب من قوانين ومعطيات ترتبط بالأعراف الاجتماعية وأعراف الكلام.

وهناك مجموعة من الشروط وضعها التداوليون لضمان نجاح الأفعال الكلامية بمجرد التلفظ بالفعل، فكيف يمكن أن يتحقق الفعل الكلامي بمجرد التلفظ به؟ وما أثر ذلك على المخاطبين؟

وقد وضع سيرل شروطا لنجاح الفعل الكلامي وهي[١٥]:

١- شرط المحتوى القضوي: يصدر المتكلم الفعل وينجزه المتلقي في المستقبل، مثل فعل الوعد.

٢- الشرط التمهيدي: ويتحقق إذا كان المتكلم قادرًا على القيام بالفعل وإنجازه، ولا يكفي اعتقاد المخاطب والمتكلم بإنجاز الفعل تلقائيًا مع الأحداث.

٣- شرط الإخلاص: صدق المتكلم في رغبته في إنجاز الفعل من المخاطب.

٤- الشرط الأساسي: أن يحاول المتكلم التأثير في المخاطب لإنجاز الفعل.

---

(١٤) السابق، والصفحة نفسها.

(١٥) انظر:

John Rogers Searle, Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language , symindicate of the university of Cambridge, united kingdom 1999, p 63.

إن كل كلام يصدر عن متكلم فهو يصدر ضمن مؤسسة تضمن له الإنجاز، وهذه المؤسسة هي التي تزود الأفعال الكلامية بالقوة التي تضمن تحققها عن طريق التأثير في سلوك المخاطب ومعتقداته، إضافة إلى ذلك فهي تعمل على تحديد مراتب المتكلمين الاجتماعية والتخاطبية، فإذا تلفظ شخص ما بملفوظ نحو: "حكمت المحكمة.." فإن هذا الملفوظ لن يكون ناجحًا إلا إذا كان صادرًا عن مؤسسة تضمن له تحققه، كأن يكون صادرًا عن قاضٍ في قاعة المحكمة في ملابسات معينة، وفي ذلك تحديد لمرتبة المتكلم الخطابية والاجتماعية (القاضي المتلفظ بالحكم في قاعة المحكمة)، فالمتكلم قبل أن يتلفظ بملفوظ ما يجب أن يسأل نفسه من أكون لأقول ذلك؟ ولِمَن؟ ولماذا؟

ومن ثم فإن صدور هذا الملفوظ من الرجل نفسه (القاضي المتلفظ بالحكم في قاعة المحكمة)، في مكان مختلف عن قاعة المحكمة لن يكون صادرًا عن مؤسسة تضمن نجاحه، وكذلك الأستاذ الذي قال: "ألغيت المحاضرة" في غير قاعة الدرس لغير الطلاب المعنين بها، والرجل الذي قال لغير زوجته: "أنتِ طالق"، وهكذا.

وإذا نظرنا في مقال (سحر البيان) فإنه يصدر عن المنفلوطي، وهو كاتب يمتلك سلطة الكتابة، تلك السلطة تضمن له التلفظ في ظل الملابسات والأعراف الاجتماعية لمهنة الكتابة والتأليف، ومن ثم نستطيع القول: إن مقاله يصدر عن مؤسسة تضمن نجاح إنجازه؛ لأن "سلطة المتكلم قد تحقق الإذعان ولكنها لا تحقق الاقتناع"[١٦] مع التنبيه على أن التلفظ بفعل القول يختلف عن الفعل التأثيري كما ذكر سيرل؛ فنجاح إنتاج القول يختلف عن الأثر الناتج عن القول.

وكذلك استطاع بروتس وأنطونيوس من خلال موقعهما أن يؤديا الفعل الفعل الكلامي أداءً ناجحًا، فتغيير مكانة الأشخاص الاجتماعية والسياسية يتغير معها نمط الفعل الكلامي وأسلوب صياغته، ومن ثم يتغير التأثير الناتج عن الفعل، ولعل تأثير بروتس على الشعب كان ظاهرًا بعد الانتهاء من خطابه، وقد ظهر ذلك في بداية خطبة أنطونيوس؛ إذ أصدر الشعب بعض الأفعال المتضمنة في القول التي يعلن فيها الشعب التمرد على أنطونيوس ورفض ما سأيتي به، ولولا

([١٦]) عيد بلبع، المغالطة الحجاجية في سياق الاستشهاد: تأصيل منهجي، سياقات اللغة والدراسات البينية، ج٢، ع٥، ٢٠١٧، ص ٧.

نجاح بروتس في التأثير على الشعب لدرجة أن الفعل المتضمن في القول (اسمعوا ..) الأخير لهم جاء ناجحًا، وأظهر ذلك في أثر هذا الفعل على الشعب بالقبول، وقد استغل أنطونيوس نفسه هذا الفعل في إقناع الشعب بالاستماع له إكرامًا لبروتس الذي أمرهم أن يسمعوه.

وقد بدأ تأثير خطبة بروتس يتلاشى مع تقديم أنطونيوس لبعض الحجج والمغالطات الي جعلت الشعب يستجيب له، وقد تغيرت طريقة أنطونيوس نفسه في بداية خطبته التي امتلأت بالأفعال الكلامية التي تدعو إلى التودد والتقرب من الشعب، ثم استعمل الأفعال الكلامية غير المباشرة التي تلمح إلى مقتل قيصر ظلمًا، ثم تغيرت الأفعال الكلامية في نهاية الخطبة إلى التصريح بأن بروتس قتل قيصر ظلمًا، ومن ثم فإن تغيير وضعية المتكلم من حالة رفض السماع له إلى حالة الاقتناع بأقواله، كان عاملًا مهمًا في إنجاز الفعل الكلامي.

مع ملاحظة أن الأفعال الكلامية تتحقق ، وإن لم يتوفر لها كافة الشروط لنجاحها، أو للتأثير على المستمعين؛ لأن المتكلم حين يصدر الفعل المتضمن يفترض أن كافة الشروط لتحقيق قوله قد تحققت ولو في ذهنه، ومن ثم فإن اقتراح أحد الناس بعد خطبة بروتس أن يحمل على الأكف والرؤوس إلى بيته: "**أحد الناس: أنا أقترح أن نحمله على الأكف والرءوس إلى بيته**"(١٧) فإن المتكلم أنجز الفعل إنجازًا ناجحًا وإن لم يحمل بروتس على الأكف والرؤوس وفقًا للشروط الاجتماعية والملابسات التي استحضرها المتلكم قبل إنجاز الفعل.

سادسا : أنماط الأفعال الكلامية:

التداولية هي اللغة في الاستعمال، واللغة لها استعمالات ضخمة، فالمتكلم يستيطع أن يشرح، ويفسر، ويبتكر، ويحكي، ويصف الأحداث، ويقدم تفسيرات، ويحل المشكلات، ويكتب ..إلخ، وهي صيغة غير منتهية من الأفعال، لكن التداوليين يحصرون عدد هذه الأفعال بالنظر إلى الغاية المشتركة في الأفعال المختلفة التي تسمى الأفعال المتضمنة في القول من قبيل: يقرر، ويحذر، ويأمر، ويَعِد، ويدافع، ويتوسل، ويتعاقد، ويضمن، ويعتذر، ويشكو، ويشكر، فالغاية المتضمنة في القول للفعل الكلامي هي الغرض أو الغاية بمقتضى كونه فعلًا من الأفعال المتضمنة في القول.

---

(١٧) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٤.

ويعني ذلك أن المتكلم عندما يأمر، فإنه قد يعطي الأمر لمجموعة مختلفة من الأسباب، وبقدر ما يوصف الأمر وصفًا صحيحًا، فإنه بوصفه أمرًا يُعدُّ محاولة لحمل المستمع لفعل شيء ما، ويعد ذلك قصدًا من المتكلم أن يقوم بالأمر، وعندما يَعِد، فإنه بوصفه وعدًا يُعدُّ التزامًا أو ضمانًا للتعهد من جانب المتكلم لفعل شيء ما بالنسبة للمستمع، ويُعدُّ قصدًا أن يفعل المتكلم ما وعد به.

وقد صنفت أنماط الأفعال المتضمنة في القول إلى خمسة أنماط مختلفة من الغايات المتضمنة في الكلام[١٨]، هي:

١- الغاية التقريرية المتضمنة في القول:

تتفق الغاية التقريرية المتضمنة في القول لدى التداوليين مع قضية الخبر في التراث العربي[١٩]؛ لأن أفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب، فالغاية من أفعال الكلام التقريرية هي التعهد للمستمع بصدق القضية، إنها تقدم القضية بوصفها تصور حالة الواقع في العالم، وبعض أمثلتها هي الأوصاف والتفسيرات، وكل التقريرات لها اتجاه مطابقة هي الكلمة إلى العالم، أي تتطابق مع الواقع، وشرط الإخلاص في التقريرات هو الاعتقاد دائمًا. وكل تقرير هو تعبير عن اعتقاد. وأبسط اختيار لتحديد التقريرات هو التساؤل عما إذا كان يمكن أن يكون المنطوق صادقًا أو كاذبًا بصورة حرفية.

فالمنفلوطي ينقل لنا عدة قضايا، يخبرنا عنها، أما القضية الأولى فهي قراءة مسرحية يوليوس قيصر، وإخباره لنا عن تلك القضية له غاية تقريرية متضمنة في القول، هي تعهد المنفلوطي أن ينقل للقارئ هذه القضية معتقدًا بصدق ما يقول، وكذلك يرى بروتس عندما ينقل للشعب قضية مقتل قيصر معتقدًا صدق اعتقاده في أن مقتل قيصر عدل، وكذلك أنطونيوس في

---

(١٨) نعتمد على ما انتهى إليه جون سيرل من تعديلات على تقسيمات أوستين للأفعال الكلامية انظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: صلاح إسماعيل: ص ١٨١- ١٨٣.

(١٩) انظر عن ارتباط الأفعال الكلامية بقضية الخبر والإنشاء في التراث العربي من خلال دراسة الأفعال الكلامية عند الأصوليين والنحاة العرب: مسعود صحراوي في كتابه: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لنظرية الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٥م، ١٢٩- ٢١٩.

الدفاع عن قيصر ينقل هذه القضية معتقدًا صدقه في أن قيصر قتل ظلمًا، فالأفعال التقريرية ينقل فيها المتكلم قضيته وشرط نجاحها اعتقاد المتكلم صدق القضية.

٢- الغاية التوجيهية المتضمنة في القول:

تتفق الأفعال التوجيهية بشكل كبير مع قضية الإنشاء في التراث العربي، فالأفعال الكلامية التوجيهية تتفق مع أساليب الطلب، نحو الأمر والنهي والاستفهام والاستعطاف والرجاء والدعوة والإذن والنصح والتهديد، والالتماس ..إلخ، وإن كان الطلب يمتاز بالدقة والتفصيل عما جاءت به نظرية الأفعال الكلامية في هذا النوع، والأفعال الكلامية التوجيهية هي محاولة حمل المستمع على أن يسلك بطريقة تجعل سلوكه يضاهي المحتوى القضوي، وأمثلة التوجيهات هي الأوامر والنواهي والالتماسات. واتجاه المطابقة هو دائمًا العالم إلى الكلمة، وشرط الإخلاص السيكولوجي المعبر عنه هو الرغبة. فكل توجيه هو تعبير عن رغبة في أن يفعل المستمع الفعل المُوَجَّه. ولا يمكن أن تكون التوجيهات مثل الأوامر والالتماسات صادقة أو كاذبة، وإنما يمكن أن تكون مطاعة ومعصية ومستجابة ومرفوضة.

تظهر الغاية التوجيهية لمقال (سحر البيان) من خلال الأفعال الكلامية المتضمنة في القول، فإذا نظرنا في خطاب بروتس وأنطونيوس فإننا نجد أنهما استعملا الأفعال التوجيهية، لكي يظفر كل واحد منهما بإقناع الشعب وتوجيهه إلى الإذعان لأقوالهما، فهذا بروتس في خطبته يستعمل الأفعال التوجيهية المتضمنة في القول بصيغة الأمر الصريح في خمسة مواضع، في قوله: "**أيها القوم، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، فأعلموا أني ما قتلت قيصر لأني كنت أبغضه، بل لأني كنت أحب روما أكثر منه**"[٢٠] يحاول بروتس توجيه انتباه الشعب على التصديق بأنه قتل قيصر لأنه يحب روما أكثر منه وليس بغضًا له، كما يوجههم إلى سماع أنطونيوس وينبههم أن قيصر الذي قتله غير قيصر الذي يؤبنه أنطونيوس، ويحاول أن يقنعهم أن هناك فرقًا بين قيصر المذنب المقتول وقيصر الذي يؤبنه أنطونيوس، يقول "**بروتس: ها هي جثة قيصر وها هو صديقه أنطونيوس قد جاء ليؤبنه فاستمعوا له، واعلموا أن قيصر المذنب غير قيصر الماجد، وقد**

(٢٠) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٣.

سمعتم ما قيل عن الأول فاسمعوا ما قيل عن الثاني، واسمحوا لي أن أقول كلمة أختم بها خطابي"[٢١].

ومن ثم فإن بروتس يعتمد على المغالطة العاطفية؛ لأنه يعتمد على الترغيب والتوجيه في إقناع الشعب بصدق دعواه، أما أنطونيوس فقد استعمل الأفعال التوجيهية المتضمنة في القول في تسعة مواضع، ففي أول موضع يستعمل فيه الفعل التوجيهي، قال: "**أنطونيوس: اسمعوني إكراما لبروتس**"[٢٢] فهو يرى التأثر الإجابي لخطبة بروتس على الشعب، ويرى أنه من الصعب سماع الشعب له، فكان توجيهه لهم بالأمر، وهو فعل تعبيري أيضًا؛ لأن فيه تعهدًا من المتكلم للمستمع بصدق القضية، وفيه حمل للمستمع على التصديق بها، وبعد أن تمكن أنطونيوس من حمل الشعب على سماعه والتصديق بما يقول، بدأ يحملهم على مزيد من التأثر فيأمرهم بالبكاء في موضوعين:

> **إن لم تبكوه لصفاته الكريمة فابكوه لأنكم كنتم تحبونه، ابكوه لأنه كان بالأمس ينطق الكلمة فتدوي في صدور العظماء دوي الرعد في آفاق السماء، فأصبح اليوم مطرحًا في ظل هذا الحائط، لا يجد بين الناس من يأبه له ولا من ينظر إليه**[٢٣].

> **أيها الرومانيون، عفوا إن هذيت بينكم أو أسأت إليكم، واعلموا أن الحزن قد قسم فؤادي قسمين: قسم على هذا المنبر، وقسم في ذلك النعش**[٢٤].

> **ثم دنا وكشف القباء عن جسمه، وقال" إن في كل جرح من هذه الجروح لسانا يشكو إليكم فاستمعوا له، فهو أنطق من لسان الرثاء**[٢٥].

ومن ثم فإن أنطونيوس يعتمد أيضًا على المغالطة العاطفية، لما لها من تأثير قوي على حمل المتلقي على الإذعان والتصديق بمقصد المتكلم، أما المنفلوطي فمقالاته بصفة عامة "تتضمن غاية

---

(٢١) السابق: ٢/ ١١٤.
(٢٢) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٦.
(٢٣) السابق: ٢/ ١١٧ – ١١٨.
(٢٤) السابق: ٢/ ١١٨.
(٢٥) السابق: ٢/ ١٢١.

توجيهية، ويهدف المنفلوطي من وراء هذه الغاية إلى الاستمرارية النصية ليتم بها فعل السرد، وتحقيق مقاصد الإصلاح، وتتميز هذا التحاورات بصفة عامة عند المنفلوطي بطول الملفوظات ؛ لأن المنفلوطي يقوم بدور الراوي في الأحداث، ويكون المخاطب مستمعًا ومفسرًا ..، وقد يكون المخاطب صامتًا، وتتداخل هذه الظاهرة في مقالات المنفلوطي..، كما تتسم هذه التحاورات بطول الملفوظات فيها نظرًا لكون الكاتب (المنفلوطي) ساردًا أو راويًا في أغلب المقالات"[٢٦] ومن هذه المقالات مقال (سحر البيان) فالمنفلوطي يروي فيه موقفًا من مسرحية يوليوس قيصر، ويتخذ من هذا الموقف وسيلة توجيهية للمتلقي ودعوته للحرية وللتخلص من العبودية، وقد اتخذ من الأفعال التوجيهية وسيلة إلى دعوة المتلقي إلى غايته، وما يمتاز به هذا المقال أن المنفلوطي جاء بالأفعال التوجيهية، نحو: الأمر والنهي والاستفهام..إلخ على لسان بروتس وأنطونيوس والشعب، وهو ما يعني أن الأفعال التوجيهية جاءت في الخطاب المروي، ولم تأت على لسان الراوي وهو الكاتب (المنفلوطي) ومع ذلك فالمقال مثل غيره من مقالات المنفلوطي التي استعمل فيها التوجيه الصريح (افعل، ولا تفعل، ...)؛ لأن الغاية من المقال دعوة المتلقي إلى فعل شيء، وهي الغاية المتضمنة في القول من الأفعال التوجيهية، ومن ثم فإن تأدية المنفلوطي الأفعال التوجيهية بشكل ناجح يؤدي إلى إنجاز الغاية المقصودة وإن لم تكن بالأفعال الكلامية المباشرة.

٣- الغاية الإلزامية المتضمنة في القول:

كل إلزام هو التزام من جانب المتكلم بأن يتعهد بسلوك الفعل الممثل في المضمون القضوي في المستقبل. وأمثلة الأفعال الإلزامية هي الوعود، والنذور، والتعهدات، والتعاقدات، والضمانات، والتهديد إلزامي أيضًا، ولكنه على خلاف الأمثلة الأخرى، يأتي مضادًا لاهتمام السامع، وليس لمنفعة السامع؛ فالمتكلم في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامع، في حين يحاول التأثير فيه التوجيهات. واتجاه مطابقة الأفعال الإلزامية هو دائمًا من العالم إلى الكلمة، وشرط الإخلاص المعبر عنه هو دائمًا القصد. فكل وعد أو تهديد، هو تعبير عن قصد عن شيء ما. والوعود والنذور، شأنها في ذلك شأن الأوامر والمطالب، لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، ولكن يمكن أن تكون منفذة، وموفى بها، ومنكوث بها. فمن خطبة بروتس للشعب يقول لهم:

---

(٢٦) عبده العزيزي، معالم التداولية في كتاب النظرات للمنفلوطي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٧، ص ٩٣، ٩٤.

- **أنا لا أريد أن أخدعكم عن أنفسكم،**
- **ولا أن أعبث بعقولكم وأهوائكم،**
- **أيها القوم، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم**[٢٧]

يتعهد بروتس للشعب بألا يخدعهم ولا يعبث بعقولهم، وهذه الأفعال مثل الوعود التي يأخذها المتكلم بفعل شيء للمستمع في المستقبل، وكذلك في خطبة أنطونيوس يقول للشعب:

- **أحب أن أسيء إلى نفسي وإلى قيصر وإليكم قبل أن أقول: إنهم أخطأوا في قتل قيصر، فأسيء إليهم**[٢٨].
- **فإني سأبكيكم في هذه الساعة بكاء شديدا**[٢٩].
- **أنا لا أريد أن أشعل بينكم فتنة عمياء**[٣٠]،
- **ولا أريد أن تطالبوا القتلة بالدماء التي أراقوها**[٣١]،
- **أنطونيوس: إنه يعطي كل فرد من أفراد الرومان خمسة وسبعين فرنكا، ويوصي بجميع غاباته ومنتزهاته ورياضه لأمته** [٣٢]

فأنطونيوس يلتزم ويعهد للمستمعين أن يسئ إلى نفسه وإلى قيصر قبل أن يسئ إلى قتلة قيصر، وهذه مغالطة غرضها كسب تعاطف الشعب، وإقناعه على استيعاب ما سيقوله، ويتعهد لهم بأنه سيبكيهم بكاءً شديدًا لمقتل قيصر، وظل أنطونيوس من خلال الأفعال الكلامية غير المباشرة؛ إذ إنه يتعهد بألا يشعل فتنة عمياء بين الشعب، في حين يبرهن بكل الوسائل الحجاجية على أن قيصر قتل ظلمًا، فيقول "لا أريد أن أشعل بينكم فتنة عمياء، ولا أريط أن تطالبوا القتلة بالدماء التي أراقوها" في حين يسعى إلى ذلك، فيقول شيئًا ويقصد شيئًا آخر.

والوصية تدخل في الأفعال الإلزامية المتضمنة في القول، فوصية قيصر هي تعهد منه والتزام بشيء نحو الشعب، ومن أقوال الشعب تأثرًا بخطبة أنطونيوس:

---

(٢٧) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٢، ١١٣.

(٢٨) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٨.

(٢٩) السابق: ٢/ ١٢٠.

(٣٠) السابق: ٢/ ١٢١، ١٢٢.

(٣١) السابق: ٢/ ١٢٢.

(٣٢) السابق، والصفحة نفسها.

- **آخر: الانتقام الانتقام**[٣٣].
- **آخر: سنحرق منزل بروتس ومنازل رفاقه**[٣٤].

والتهديد أيضًا في قول أحد الناس: الانتقام الانتقام، وقول آخر: سنحرق منزل بروتس ومنازل رفاقه، وهي أفعال فيها وعيد وتهديد يتعهد المتكلم بفعلها في المستقبل.

٤- الغاية التعبيرية المتضمنة في القول:

إن التعبير بإخلاص وصدق عن الشكر والتهاني والاعتذارات والتعازي شروط لنجاح الأفعال التعبيرية المتضمنة في القول، ففي الأفعال التعبيرية يكون المحتوى القضوي فارغا ؛ لأن صدق المحتوى القضوي مسلم به ببساطة. فإذا قلت "معذرة لأنني صدمتك" أو "التهاني في الفوز بالجائزة"، فأنا أسلم بأنني صدمتك، أو بأنك فزت بالجائزة، ومن ثم أسلم أو أفترض تناغمًا بين المحتوى القضوي والواقع. ولكن شرط الإخلاص للافعال التعبيرية يتغير بتغير نمط الفعل التعبيري. ومن ثم يكون الاعتذار مخلصًا إذا شعر المتكلم شعورًا حقيقيًا بالأسف بشأن ما يعتذر عنه. وتكون التهاني صادقة إذا شعر المتكلم شعورًا حقيقيًا بالابتهاج حول ما يكون المستمع مبتهجًا به.

ولذلك فتعبير الشعب عن الفرحة بالخلاص من قيصر في قول أحد الناس: "**لتهنأ روما بالخلاص منه**"[٣٥] متأثرًا بخطبة بروتس يعد تعبيرًا ناجحًا؛ لأنه يعد شعورًا حقيقيًّا بالابتهاج، وتعبير بعض أفراد الشعب عن الحزن والتعازي في مقتل قيصر بعد خطبة أنطونيوس في قوله:

- **أحد الناس: يا له من منظر فظيع.**
- **آخر: وا رحمتاه لقيصر.**
- **آخر: إن يوما يقتل فيه قيصر ليوم شره مستطير.**
- **آخر: يا للدناءة والسفالة.**

---

(٣٣) السابق: ٢/ ١٢١.

(٣٤) السابق: ٢/ ١٢٣.

(٣٥) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٥.

- **آخر: يا للغدر والخيانة**[٣٦].

تعد أيضًا تأدية ناجحة للفعل التعبيري المتضمن في القول؛ لأنه يعد شعورًا حقيقيًّا بالحزن والأسى لمقتل قيصر وبخاصة بعد خطبة أنطونيوس.

٥- الغاية التصريحية المتضمنة في القول:

هي إحداث تغيير في العالم عن طريق تمثيله بقدر ما يتغير. فالأفعال الأدائية بالإضافة إلى التصريحات الأخرى تبدع حالة الواقع مباشرة عن طريق تمثلها كما هي مبدعة. والأمثلة المفضلة هي المنطوقات مثل: "أنا مستقيل" و"أنت مقال"، و"ألغيت المحاضرة" و"بذلك أعلنت الحرب". وفي هذه الحالات نملك اتجاهًا مزدوجًا للمطابقة؛ لأننا نغير العالم، ومن ثم ننجز اتجاه مطابقة العالم إلى الكلمة، عن طريق تمثيله بقدر ما تم تغييره، وننجز اتجاه مطابقة الكلمة إلى العالم. فالتصريحات أفعال فريدة بين أفعال الكلام في أنها تحدث بالفعل تغييرات في العالم بمقتضى الأداء الناجح فحسب للفعل الكلامي. ولا تكون هذه التصريحات ممكنة إلا بسبب وجود مؤسسات، فإذا أعلن الأستاذ الجامعي إلغاء المحاضرة في سياق معين، فقد حدث تغيير في الواقع.

ويمكن أن تدخل الوصية ضمن هذا النوع إذا كانت بمعنى الوصية بالخلفية الإسلامية التي تعني الوجوب بحد معين، وإن كانت مثل التعهد والوعد تدخل ضمن الأفعال الإلزامية المتضمنة في القول كما تقدم في الغاية الثالثة من وصية قيصر لشعبه.

وتجدر الإشارة إلى أن المتكلم يستطيع أن يؤدي فعلًا كلاميًا في نمط من الأنماط الأخرى، مثل الوعد أو الأمر، وذلك بأن يعلن ببساطة أنه يؤديه. وعلى هذا النحو في المنطوق الأدائي "أنا أعد أن أصل وأراك" ينجز المتكلم التصريح أولًا. ويجعل المتكلم المنطوق حقيقة واقعة عن طريق التصريح بأنه يعد. ومع ذلك بمقتضى هذه الحقيقة يحدث منطوقه وعدًا. وطالما أن قوله "أنا أعد" يحدث حالة الواقع التي يمثلها قوله، أعني حالة المتكلم الواعد، فإنه يؤلف وعدًا وتقريرًا للأثر الذي مؤداه أنه وعد. وعلى هذا النحو يكون الفعل الكلامي ثلاثة أنماط من الغاية المتضمنة في القول وهي التصريح، والنمط الإلزامي، والنمط التقريري.

---

(٣٦) السابق: ٢/ ١٢١.

سابعا : الأفعال الكلامية الكلية:

تأتي الأفعال الكلامية في الخطاب على خمسة أنماط، قد ترد جميعها في النص الواحد، وقد يرد بعضها، وتختلف الغاية في كل نمط عن الآخر، ويمكن أن نعد الغاية من كل نمط الغايات الصغرى للنص، وتكون مع بعضها الغاية الكبرى للنص، ومن ثم يمكن أن يعد النص كله فعلًا متضمنًا في القول يطلق عليه الفعل الكلامي الكلي، ومن ثم فإن للفعل الكلامي الكلي هذا غاية كبرى، ويبحث المتكلم/ الكاتب عن الغاية التأثيرة لنصه من خلال تلك الغاية التأثيرية.

ومقال (سحر البيان) يتضمن فعلًا كلاميًا كليًّا، وهو فعل توجيهي متضمن في القول، غايته حث المتلقي على الحرية والتخلص من الخوف والضعف والعبودية لحملة التيجان، أو حملة البيان.

وقد جاءت الأفعال الكلامية الصغرى- إن جاز هذا التعبير – تتفق من حيث الغاية مع الفعل الكلامي الكلي، فكانت الأفعال التوجيهية المتضمنة في كل مقطع من مقاطع المقال، وإذا نظرت إلى الأوامر في صيغة (افعل) وحدها تكررت عشرين مرة، فالمنفلوطي يحث المتلقي على الحرية والتخلص من العبودية بكافة أنواعها.

والمقال ينقسم إلى أربعة مقاطع، أما المقطع الأول، فهو مقدمة تقريرية أشار المنفلوطي فيها إلى طبقتين من طبقات المجتمع، الطبقة العليا، وهي الطبقة التي يكون منها الحكام، والطبقة المحكومة، وهي الطبقة التي تتلاعب بها الطبقة العليا الحاكمة، كما يقرر أن ذلك التقسيم الطبقي لا يختلف بين المجتمعات المختلفة وعلى مر العصور، وهذه البداية تعد فعلًا كلاميًّا صريحًا يصف وينبه على المشكلة.

وأما المقطع الثاني فهو خطبة بروتس، وهذه الخطبة تضم مجموعة من الأفعال الكلامية التقريرية والتوجيهية والإلزامية وغيرها، ويمكن عد خطبة بروتس تتكون من فعل كلامي كلي تقريري يقرر فيها بروتس أنه قتل قيصر لظلمه، وتخليصًا للشعب من ذل العبودية، وقد نجح

بروتس في التأثير في الشعب ويظهر ذلك من الأفعال الناتجة عن القول أو التأثير الظاهر على الشعب.

وأما المقطع الثالث فهو خطبة أنطونيوس فيتكون من فعلين كلاميين، أحدهما تقريري، يقرر فيه أن قيصر قتل ظلمًا، وأما الثاني فهو فعل توجيهي يحث فيه أنطونيوس تصريحًا وضمنيًا الشعب للأخذ بالثأر من قتلة قيصر، وقد استطاع أنطونيوس التأثير على الشعب ونجح في إشعال ثورة الثأر ضد قتلة قيصر.

ثم جاء المقطع الأخير وفيه الغاية من المقالة ويتكون من فعلي كلامي توجيهي يحث فيه المنفلوطي المتلقي على الحرية والتخلص من العبودية، وهكذا جاء المقال مجموعة متباينة من الأفعال الكلامية الكلية، منها الأفعال الكلامية التقريرية والتوجيهية.

ثامنا : الاستلزام الحواري:

اعتمد المنفلوطي في مقاله على أسلوب الحوار، أما الشخصيات المتحاورة فهي: بروتس وأنطونيوس والشعب، فكيف يمكن تفسير قدرة المتحاورين على إنشاء الأقوال وفهمها؟ وكيف يمكن إدرك المحتوى غير الحرفي للأقوال، ولماذا يتبع المتحاورون طرقًا غير مباشرة لإنجاز أقوالهم وأفعالهم؟ كيف يكون ممكنًا أن يقول المتكلم كلامًا ويقصد شيئًا آخر؟ وكيف يمكن للمستمع أن يسمع شيئًا ويفهم منه شيئًا آخر؟ هذه الأسئلة يمكن الإجابة عنها من خلال مبدأ التعاون والحِكم المحادثية، فما المقصود بمبدأ التعاون؟ وما المقصود بالحكم المحادثية؟ وكيف يتم خرق هذه الحكم؟ وماذا يترتب على هذا الخرق؟

يفترض مبدأ التعاون أن يحترم كل أطراف الخطاب لما هو مطلوب منه في عملية التبادل القول وفق اتجاه سير الأحداث وأغراضها المقبولة ضمنية من خلال مجموعة من القواعد، هي[٣٧]:

---

٣٧) انظر عن هذ القواعد: آن روبول، وجاك موشلار : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوي ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٣، ص ٥٥، ٥٦. فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تعريب: صابر الحباشة، وعبد الرازق الجمايعي، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ط١، ٢٠١٢م، ص ٦٤.

- **قاعدة الكم:** تفترض أن تتضمن مساهمة المتكلم حدًا من المعلومات يُعادل ما هو ضروري في المقام ولا يزيد عليه.
- **قاعدة القيمة:** تفترض على المتكلم أن تكون مساهمته صادقة، فلا تؤكد ما يعتقد كذبه، أو ما يحتاج إلى الحجج لإثباته
- **قاعدة المناسبة:** يفترض على المتكلم أن يتحدث كلامًا داخل الموضوع، وثيق الصلة بالموضوع، وتنص على أن نقول أشياء مفيدة للتفاعل، أشياء لها علاقة بالمحادثة.
- **قاعدة الكيف:** تفترض على المتخاطبين الوضوح في الكلام، وتنص على أن نقول ما ينبغي على أحسن وجه، أي نتوخى النزاهة في الحوار وعلى أساس المعلومات الكافية، وقد اقترح (جرايس ١٩٧٩) تعديل هذا المبدأ ليصبح على صورة "اجعل كلامك على صورة تصلح لإجابة ما" [٣٨]، وتفترض الوضوح وتجنب اللبس والاختصار وترتيب المعلومات وفق غرض المحاورة.

فيجب على طرفي الخطاب الالتزام بهذه القواعد في الحوار، فيتولد الاستلزام الحواري نتيجة الالتزام بهذه القواعد، كما يتولد نتيجة الانحراف عن هذه القواعد[٣٩]، فالمتكلم عندما يطرح قضية ما يفترض في السامع التفاعل وفق الغرض المطروح في خطاب المتكلم، بمعنى أن تكون مساهمة أطراف الخطاب وفق غرض المحاورة التي انخرط فيها المتحاورن، أي يتعاون طرفا الخطاب في الوصول إلى الغرض المقبول من الحوار، فكيف كانت مساهمات أطراف الخطاب في مقال المنفلوطي.

وإذا نظرنا في الحوار في مقال (سحر البيان) نجد أن بروتس بدأ خطبته مع الشعب بداية طلبية:

---

(٣٨) انظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء: ترجمة: تمام حسان،عالم الكتب، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨، ص ٤٩٧.

(٣٩) انظر:

Grice,Logic and conversation, in Cole peter and Morgan.Jerry.L.(eds): Speech acts, in Syntax and Semantics. Vol.3,New York.1975. p 45-46.

بروتس "وهو على منبر الخطابة": أيها الرومانيون، أتعـدونني بالصـبر القليل على سماع ما أقول من حلو الكلام، ومره إكرامـا لمـوقفي، وإكرامـا للعدل؟[٤٠]

فهل كانت بداية موفقة منه؟ بروتس يطلب من الشعب وعدًا بالصبر القليل على حلو الكلام ومره، ويعلل طلب الصبر القليل بأمرين، الأول: أكرامًا لموقفه. والثاني إكرامًا للعدل. فهل لقاتل أن يطلب من جمهور المقتول الصبر القليل؟ وهل للقاتل من إكرام في موقف الدفاع عن نفسه؟

إذا نظرنا إلى الحوار من ناحية التداولية؛ فإن الكلام قد لا يكون مناسبًا لموقف القاتل الـذي يريد الدفاع عن نفسه، وإنما هي مغالطة عاطفية يسعى بروتس من خلالها إلى التأثير في الشعب؛ لأن القاتل ليس في موضع إكرام، ولا يتطلب الأمر معه صبرًا قليلًا؛ وإنما يحتاج إلى مزيد مـن الصبر إذا أراد أن يغير موقفه، ويجعل مقتل قيصر عدلًا.

وقد يكون الطلب مناسبًا من ناحية أن بروتس من خلال السؤال يعطي فرصة للشعبة فـي المشاركة في الحوار، فلا يفرض نفسه عليهم من باب التأدب في الحوار وفق اقتراحات (لايكوف) لمبدأ التأدب[٤١]، ويتكون من ثلاث قواعد[٤٢]، هي: قاعدة التعفف ومتقضاها "لا تفرض نفسك على المخاطب"، وقاعدة التشكك ومتقضاها " لتجعل المخاطب يختار بنفسه"، وقاعدة التود ومتقضاها هو "لتظهر الود للمخاطب" فبروتس من خلال السؤال لا يفرض نفسه على الشعب، ويترك لهم حرية الاختيار بين استمرار المحاورة أو غلقها.

والدليل على رغبته في استمرار المحاورة ونجاحها التودد وفق قواعد مبدأ التـأدب، بـأن يظهر المتكلم الود للمخاطب، كما هو واضح من خلال أقواله التعبيرية، وكذلك من خلال تقديمـه المعلومات المطلوبة في عملية التبادل القولي وفق اقتراحات جرايس لمبدأ التعاون، فأسهم بروتس

---

(٤٠) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٢.

(٤١) انظر:

Geoffery.N.Leech: Principle of Pragmatics : Geoffery.N.Leech, Longman, London And New York,1983, p144.

(٤٢) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص ٢٤١،٢٤٠.

بمعلومات تعادل ما هو مطلوب في هذا السياق، ومن ثم فإن الطلب في بداية الخطبة يعد إجمالًا وما بعده تفصيلًا، فقال:

"أنا لا أريد أن أخدعكم عن أنفسكم، ولا أن أعبث بعقولكم وأهوائكم، بل أريد منكم أن تنظروا إلى قضيتي نظر المستيقظ الحذر الذي لا يعطي هوادة ولا يسلس قيادا ولا ينام عن شاردة ولا واردة؛ لأني لا أعتقد أن في زاوية من زوايا قضيتي هذه كمينا أخاف أن تقع عليه العيون"(٤٣)

وإن كان تعبير بروتس بالاعتقاد أن هناك زاوية في قضية قتله قيصر تعد كمينا يخاف أن تقع العيون عليه إسهاما حواريا يفتقر إلى قاعدة القيمة من مبدأ التعاون التي تفرض على المتكلم أن يكون إسهامه صادقا، ولا يحتاج إلى تأكيد، كما يفتقر إلى قاعدة الكيف لغموض المقصد من الكمين الذي يخاف أن تقع عليه العيون.

يتابع بروتس خطبته في الاتجاه الذي يسعى إليه، وهو توضيح الأسباب التي دفعته لقتل قيصر، في قوله:

أيها الرومانيون، إن كان بينكم صديق لقيصر يحبه، ويتهالك وجدا عليه فليسمح لي أن أقول له: أيها الصديق الكريم، إن بروتس قاتل قيصر كان يحبه أكثر من حبك إياه(٤٤).

فجاءت إضافته من المعلومات وفق ما يقتضيه غرض المحاورة، فيقول: إنه قتل قيصر، وكان يحبه، ولا يبغضه، ولكنه يحب روما أكثر منه، وهذا استلزام حواري، أراد بروتس منه أن يثبت بطريقة مباشرة أن حب الوطن يفوق حب الأشخاص، وأن الإنسان يمكن أن يضحي بنفسه من أجل الوطن؛ لأنه في اعتقاد بروتس أن قتل قيصر فيه مصلحة الوطن.

أحب بروتس قيصر؛ لأنه كان يحبه، واحترمه لشجاعته، وقتله لطمعه، وإن كانت إضافة بروتس بتلك المعلومات يتخللها بعض المغالطات العاطفية، إلا أنها تسير وفي غرض المحاورة؛ لأن بروتس يواجه الشعب بالقدر المطلوب من المعلومات من خلال توضيح الأسباب التي قتل

---

(٤٣) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٢، ١١٣.

(٤٤) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٣.

قيصر من أجلها، فهل كان الطمع حجة قوية لقتل قيصر؟ أم أن الحجة كانت التأثير القوي للتعبير البلاغي في قوله "**ففي ساعة واحدة منحته دمعي وقلبي وخنجري**"[٤٥]

يتابع بروتس حواره مع الشعب مستنكرًا أن يرضى أحد منهم بالعيش ذليلًا، ويحزن لموت قيصر، وهنا تبدأ المفارقة الكبرى والتصريح بالحجة الأقوى لقتل قيصر؛ إذ إن حياة قيصر تستلزم أن تقابلها حياة الشعب الروماني ذليلًا، ومن ثم يتوجه بروتس إلى الشعب متجنبًا التقرير وفق مبدأ التأدب وقاعدة التشكك المتفرعة منه، بأن تترك المخاطَب يختار بنفسه، فبروتس ترك الخيار للشعب عن طريق صياغة حجته في قتل قيصر بأسلوب الاستفهام كما لو كان متشككًا، في قوله:

- **من منكم يكره أن يكون رومانيا؟**
- **من منكم يكره أن يكون حرا؟**
- **من منكم يحتقر نفسه؟**
- **من منكم يزدري وطنه؟**
- **إن كان بينكم واحد من هؤلاء فليتكلم؛ لأنه هو الذي يحق له أن يثأر لنفسه مني؛ لأني لم أسئ إلى أحد سواه**[٤٦].

تعد تلك الوسيلة ناجعة في إقرار غرض المتكلم، وقد حصل لبروتس فعلًا ما أراد، بدليل إجابة الشعب:

- **الشعب: لا، لا، ليس فينا واحد من هؤلاء.**
- **بروتس: إذن أنا لم أسئ إلى أحد منكم**[٤٧].

أراد بروتس التأثير على الشعب بقوة المغالطة أو المغالطة بالقوة "وتكمن المغالطة في هذا النوع من الحجاج في التوجه إلى سلوك المخاطبين قصد تكييفه وفق ما يريده المتكلم دون اعتبار لما يفكر فيه المخاطب أو يعتقده، ودون أن يخاطبه ليحصل على اقتناع ذاتي يكون ناتجًا عن الأثر

---

(٤٥) السابق، والصفحة نفسها.

(٤٦) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٣، ١١٤.

(٤٧) السابق: ٢/ ١١٤.

المباشر للحجاج"[٤٨] ولذلك صاغ بروتس أقواله وفق السؤال ليجبر الشعب على التصديق بما يريد، لأن صياغة السؤال بهذا الشكل ربما تصادر على حرية المخاطب، كما تعطيه حرية الاختيار، "ومن ثم لا يمكن معالجة هذا النوع من الحجاج في إطار المنطق الاستدلالي؛ وإنما يمكن معالجته وفق الطبيعة التداولية التي تسعى إلى تحقيق النفع للمخاطب عن طريق إنجاز الأفعال الطلبية"[٤٩]

لقد استطاع بروتس أن يسير في حواره وفق ذلك الغرض، غرض النفع للمخاطب، وفق ما يتطلبه التعاون بين طرفي الخطاب للوصول إلى الغاية المنشودة، فمن خلال حواره مع الشعب قدم المعلومات المطلوبة لتأكيد موقفه من قتل قيصر بالقدر المطلوب، كما أظهر من خلال بعض العبارات الود للمخاطب، مرتبًا للأفكار، واضح التعبير، متجنبًا الغموض واللبس، ومفسرًا ما غمض أو ما قد يدخله اللبس في التعبير، وقد تجاوب الشعب معه وفق غرض المحاورة، ولذلك استطاع يكسب مؤقتًا قدرًا كبيرًا من إقناع الشعب بأنه لم يقتل قيصر ظلمًا، وإن كان وصوله لتلك الغاية كانت بطريقة غير مباشرة، وعبر عنها بقوله: "**إذن أنا لم أسئ إلى أحد منكم**"[٥٠].

ويواصل بروتس وفق مبدأ التعاون أن يحترم الطرف الآخر من المحاورة في عملية التبادل القولي وفق ما يفرضه اتجاه المحاورة وأغراضها المقبولة ضمنيًا، فحين قدم أنطونيوس ومعه جثة قيصر، أراد بروتس أن يحصن مكسبه من تأثير في الشعب، ويترك أنطونيوس ليأخذ دوره في الحوار في القضية المطروحة، قضية مقتل قيصر، فقال:

- **ها هي جثة قيصر وها هو صديقه أنطونيوس قد جاء ليؤبنه فاستمعوا له، واعلموا أن قيصر المذنب غير قيصر الماجد، وقد سمعتم ما قيل عن الأول فاسمعوا ما قيل عن الثاني، واسمحوا لي أن أقول كلمة أختم بها خطابي**[٥١].

([٤٨]) عبده العزيزي، المغالطات الحجاجية دراسة تداولية لنماذج من مقالات المنفلوطي، سياقات اللغة والدراسات البينية، ج٢، ع٥، ٢٠١٧، ص ١٩٤.

([٤٩]) عبده العزيزي، المغالطات الحجاجية دراسة تداولية لنماذج من مقالات المنفلوطي: ص ١٩٤.

(٥٠) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٤.

(٥١) السابق، والصفحة نفسها.

استعمل أفعال الأمر التي يتضح منها أنه يمارس سلطة توجيهية قوية: (فاستمعوا... واعلموا ... فاسمعوا... واسمحوا)، خاصة بعدما حققه من مكسب أدى إلى تعاطف الشعب معه واستجابتهم له، واقتناعهم بغرضه، لقد أحدث بروتس تأثيرًا قويًا في الشعب، جعله يتمكن من فرض السلطة التوجيهية بنجاح.

يصور المنفلوطي الحالة التي عليها الشعب ومدى التأثر بخطبة بروتس، تلك الحالة التي كانت مقدمة كفيلة بغلق المحاورة، لولا امتلاك أنطونيوس الوسائل الحجاجية التي مكنته من استمرار المحاورة، وبقايا التأثير التوجيهي الذي فرضه بروتس في الفعل الطلبي.

لقد بدأ أنطونيوس خطابه بقوله:

- **أيها الأصدقاء، أنا ما جئت هنا اليوم لأرثي قيصر بل لأدفن جثته**[٥٢].

يبدو أن أنطونيوس وفق قاعدة الكيف من مبدأ التعاون بوضوح ؛ إذ عبر محددًا غرضه من الخطاب أنه جاء ليدفن جثة قيصر، لا ليرثيه؟ فهل كان صادقًا في هذه البداية، أم أنه يسعى لغرض غير مباشر، وإن كانت بدايته تبدو مباشرة وواضحة؟

للإجابة عن هذا التساؤل علينا أن نرى كيف ترك أنطونيوس هذه البداية التي قال فيها إنه جاء من رثاء قيصر، وتحوّل إلى تبرير حسنات قيصر وسيئاته متخذًا من الطبيعة الإنسانية لحياة البشر حجة مؤيدة تبدو منطقية ؛ لأن حياة كل إنسان بها أعمال حسنة وأعمال سيئة، ثم يحاول أن يهدم ما جاء به بروتس من حجج من خلال حجة أخرى أكثر منطقية، وهي: إذا مات الإنسان تموت معه حسناته، وأما سيئاته فتبقى من بعده خالدة إلى يوم يبعثون ، وفي ذلك دحض لحجة بورتس أنه قتل قيصر ؛ لأنه كان طماعًا؛ فإذا افترض جدلًا أن قيصر كان كذلك، فهي سيئة واحدة في مقابل حسناته الكثيرة، قال أنطونيوس:

- **أيها القوم، ما من أحد من الناس إلا وله في حياته أعمال حسنة، وأخرى سيئة.**

---

(٥٢) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٦.

- **أما حسناته فتموت بموته، وأما سيئاته فتبقى من بعده خالدة إلى يوم يبعثون.**
- **كذلك كان قيصر في حياته ومماته، وحسناته وسيئاته**[٥٣].

ثم انتقل أنطونيوس إلى الحديث عن بروتس، فيتوجه إلى الشعب ويقرر أمامهم أنه ما كان ليستطيع أن يقف أمامهم في موقفه هذا إلا بسبب بروتس الذي أمركم أن تسمعوني وأمرني بالكلام، ويقرر أنه أطاعه، ويعلل أسباب ذلك بأن بروتس رجل شريف!، كما يعترف مؤقتًا برأي بروتس في أن قيصر كان طماعًا، وأنه لا يستطيع أن يخالفه الرأي؛ لأن بروتس رجل شريف! كما يقرر أيضًا أنه لا يستطيع أن يقول للشعب إن قيصر كان رجلًا قانعًا عادلًا؛ لأن الشريف بروتس يقول غير هذا، قول أنطونيوس:

- **أيها القوم، ما كنت لأستطيع أن أقف موقفي هذا بينكم ولا أن أقول كلمة مما أريد أن أقول لولا أن بروتس قاتل قيصر أمرني بالوقوف وأمرني بالكلام، وها أنتم ترون أنني قد أطعته واستمعت له؛ لأنه رجل شريف.**
- **أيها القوم، يقول الشريف بروتس: إن قيصر كان رجلا طماعا وأنا لا أستطيع أن أخالفه فيما يقول؛ لأنه رجل شريف.**
- **أنا لا أستطيع أن أقول: إن قيصر كان رجلا قانعا عادلا أمينا؛ لأن الشريف بروتس يقول غير هذا**[٥٤].

فهل أنطونيوس يقصد ما يقول؟ هل يقصد أن بروتس حقًا رجل شريف؟ هل يقصد أنه لا يستطيع مخالفة بروتس في أقواله فعلًا؟ فإذا كان الجواب بلا، فماذا يقصد؟ ولماذا يقول ما لا يقصد؟ ولماذا يتبع طرقًا غير مباشرة لإنجاز أقواله وأفعاله؟

تسطيع التداولية الإجابة عن تلك الأسئلة عن طريق مجموعة من المبادئ الحوارية، ويعد مبدأ التعاون أحد أهم هذه المبادئ والذي يفترض عليهم اتباع عددًا معينًا من القواعد الضمنية

---

(٥٣) السابق، والصفحة نفسها.

(٥٤) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٦، ١١٧.

اللازمة في التواصل الكلامي كما تقدم، فما مدى صدق المعلومات التي أسهم بها أنطونيوس في هذه المحاورة وما مدى مناسبتها لغرض المحاورة.

يبدو أن أنطونيوس لا يقصد أن بروتس رجل شريف كما قال، وفي ذلك مخالفة لقاعدة القيمة؛ لأنه يقول ما يعتقد كذبه، وفي ذلك مغالطة بأسلوب المدح والثناء، فعندما يكرر أنطونيوس وصف بروتس بالشريف وهو وصف ظاهره المدح والإذعان له، وغايته "التأثير في نفوس المستمعين لحملهم على الاقتناع بكلامه، حتى وإن كانت الحجة ضعيفة، أو كان هذا الثناء في باطنه هجاء"[٥٥] ومخالفة قواعد التعاون يتولد عنه استلزام حواري، فهو يستلزم أولًا أن بروتس ليس شريفًا، وهو ما ينفي اعتقاد بروتس في أن قيصر كان طماعًا، كما ينفي أيضًا أن أنطونيوس لا يستطيع مخالفة بروتس، ويثبت أن قيصر كان عادلًا، ثم شرع أنطونيوس بإضافة المعلومات الضرورية في المحاورة وفق قواعد مبدأ التعاون، فجاءت أقواله واضحة ومباشرة، في قوله:

- **كل ما أستطيع أن أقوله، إن الفدية التي افتدى بها أعداؤنا أسراهم الذين جاء بهم قيصر إلى روما قد ملأت الخزانة العامة حتى فاضت بها.**
- **كل ما أستطيع أن أقوله، إني رأيت قيصر بعيني يبكي لبكاء الفقراء ويحزن لحزنهم، ويبيت الليالي ذوات العدد ساهرا لا يغتمض له جفن حدبا بهم، وعطفا عليهم.**
- **كل ما أستطيع أن أقوله، إني عرضت بنفسي تاج الملك على قيصر في لوبركال ثلاث مرات فأباه زهدا فيه، وازدراء له.**
- **كنت أستطيع أن أقول: إن الطمع لا يسكن قلبا مثل هذا القلب، ولا يخالط فؤادا مثل هذا الفؤاد لولا أن بروتس يقول: إن قيصر رجل طماع، وأنا لا أستطيع مخالفته لأنه رجل شريف**[٥٦].

ثم انتقل أنطونيوس إلى وصف حالة قيصر مع الشعب، بعد أن حاججهم بالحجج السابقة، وقد جاء إسهامه وفق قاعدة التشكك من مبدأ التأدب؛ إذ صاغ أنطونيوس أقواله الموجهة إلى

---

(٥٥) ربيعة برياق، المغالطات الحجاجية وخرق مبادئ التحاور في مناظرة العصر بين أحمد ديدات وأنيس شروش، سياقات اللغة والدراسات البينية، ج٢، ع٥، ٢٠١٧، ص ٤١.

(٥٦) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٧.

الشعب في صيغة السؤال، وهو يعطي فرصة للشعب أن يختار بنفسه، ويزيل عنه الخجل إذا أراد الاعتراض، ولم يستعمل أنطونيوس صيغة السؤال فقط رغبة في الوصول إلى غايته من الحوار؛ وإنما استعمل أيضًا الأمريات رغبة في أن يفعل المستمع الفعل المُوَجَّه، نحو قوله:

- **أيها الرومانيون، إنكم أحببتم قيصر قبل اليوم حبا جما، فما الذي يمنعكم اليوم من البكاء عليه؟**
- **إن لم تبكوه لصفاته الكريمة فابكوه لأنكم كنتم تحبونه، ابكوه لأنه كان بالأمس ينطق الكلمة فتدوي في صدور العظماء دوي الرعد في آفاق السماء، فأصبح اليوم مطرحا في ظل هـذا الحـائط، لا يجد بين الناس من يأبه له ولا من ينظر إليه.**
- **أيها العقل الإنساني، كيف حالت حالك وتغيـرت آيتـك؟ وكيـف انتقلت من الصدور الإنسية إلى الصدور الوحشية؟ وكيف ضللت سبيلك وعميت عليك مذاهبك فحسبت الخير شرا، والشر خيـرا، واختلط عليـك الأمـر بـين الحسـنات والسـيئات، والمكـارم والجرائم؟**(٥٧)

ويستمر أنطونيوس في قول غير ما يقصد، ولكنه بدأ يتحسس من غرضه شيئًا فشيئًا، فتراه يستعمل أفعال الظن بعد استعمله أفعال التوكيد، في قوله:

- **إنني أعتقد أن بروتس ورفاقه قوم شرفاء عظماء؛ لذلك أحب أن أسيء إلى نفسي وإلى قيصر وإليكم قبل أن أقول: إنهم أخطئـوا في قتل قيصر، فأسيء إليهم**(٥٨).

ثم أنجز فعلا غير لغوي ولكنه قوي التأثير "**أرسل من جفنيه قطرات من الدموع**"(٥٩)، وكان نقطة التحول في الحوار لظهور التأثير الإيجابي في الشعب، وبداية تحقيق غرض أنطونيوس من

---

(٥٧) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٧، ١١٨.

(٥٨) السابق، النظرات: ٢/ ١١٨.

(٥٩) السابق، والصفحة نفسها.

الحوار، وقد توالت الآثار المرتبة على أقواله في أفعال الشعب وأقوالهم، كما يظهر من أقوالهم، ثم يحاول أن يترك للشعب الاختيار أيضًا في طلبه في قوله:

- **أتأذنون لي بالنزول من المنبر لأقف قليلا بجانب جثة القتيل؟**[٦٠]

فكانت استجابة الشعب قوية ومن هنا تملك أنطونيوس سلطة تأثيرية قوية جدًا، استطاع من خلالها التأثير في الشعب وفق الغاية التي يسعى إليها.

وتبدو المغالطة في خطاب أنطونيوس في اختلاف المقدمات عن النتيجة؛ إذ بدأ حواره بقوله: "**أنا ما جئت هنا اليوم لأرثي قيصر بل لأدفن جثته**"[٦١] ثم قال "**فابكوه لأنكم كنتم تحبونه، ابكوه لأنه كان بالأمس ينطق الكلمة فتدوي في صدور العظماء دوي الرعد في آفاق السماء**"[٦٢]، وصف بروتس بالشريف غير مرة، ثم يبرهن على ظلمه في قتل قيصر، وتراه يقول: " لولا أني أوثر الإبقاء عليكم، ولولا أني أحب تخفيف ما ألم بقلوبكم من الحزن على فقيدكم لتلوت عليكم وصيته لتعلموا أن الرجل كان يحبكم، وأنه ما كان خليقا أن يقتل بينكم وفيكم عين تطرف وفؤاد يخفق" ثم يختم خطابه "**في موقفه وحده: أيتها الفتنة العمياء، قد أيقظتك من مرقدك فارفعي رأسك وامضي في سبيلك واشتعلي حتى يحرق لسانك أديم السماء، وحتى لا تبقي على شيء مما حواليك**"[٦٣] ومن ثم فإن خطاب أنطونيوس حجاج مغالط؛ لأنه "يعتمد في بلوغ هدف على الإضمار، فهو من أهم مقوماته ويستخدم لذلك أساليب التضليل والتشويه والتعتيم كالسلطة، والكذب، والسؤال الملغوم .. وغيرها من الأساليب، وسيلة لإخفاء المقاصد الحقيقية"[٦٤]

ولذلك عندما استشهد المنفلوطي بالشخصية التاريخية متمثلة في شيخصيات قيصر وبروتس وأنطونيوس اتخذ من السياق التاريخي وسيلة إقناعية، ليوضح أثر سلطة القول والسلطة السياسية في استعباد الشعوب.

---

(٦٠) السابق: ٢/ ١١٩.

(٦١) المنفلوطي، النظرات: ٢/ ١١٦.

(٦٢) السابق: ٢/ ١١٧.

(٦٣) السابق: ٢/ ١٢٣.

(٦٤) ربيعة برياق، المغالطات الحجاجية وخرق مبادئ التحاور في مناظرة العصر بين أحمد ديدات وأنيس شروش، ص ٣٩.

الخاتمة:

- يهدف المقال إلى غاية توجيهية يدعو فيه المنفلوطي المتلقي إلى الحرية والتخلص إلى من العبودية، واتخذ المنفلوطي من الاستشهاد بنص من رواية (يوليوس قيصر) وسيلة إقناعية توجيهية لغرض مقاله.
- استعمل المتحاوران الحجاج المغالط أثناء العملية التواصلية ليستدل كل طرف على صدق دعواه وفق الالتزام بالقواعد العامة لمبدأ التعاون ومبدأ التأدب أوخرقها.
- جاءت الأفعال الكلامية في المقال متنوعة بين الأفعال التوجيهية والتعبيرية والتقريرية والإلزامية والتصريحية، وإن ظهرت الأفعال التوجيهية بصورى ملحوظة؛ إذ يهدف المنفلوطي إلى دعوة المتلقي إلى التخلص من العبودية، كما يهدف بروتس إلى دعوة الشعب إلى الإذعان والاقتناع بمقصده، كما يهدف أنطونيوس إلى إقناع الشعب بخطأ بروتس وتجيهيهم إلى مقصده، فكانت تلك السلطة التوجيهية هي المسيطرة على المقال.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

١. آن روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوي ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، ، دار الطليعة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٣.

٢. جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، عدد ١٨١٢، ٢٠١١.

٣. ربيعة برياق، المغالطات الحجاجية وخرق مبادئ التحاور في مناظرة العصر بين أحمد ديدات وأنيس شروش، سياقات اللغة والدراسات البينية، ج٢، ع٥، ٢٠١٧.

٤. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء: ترجمة: تمام حسان،عالم الكتب، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٨.

٥. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٦. عبده العزيزي، المغالطات الحجاجية دراسة تداولية لنماذج من مقالات المنفلوطي، سياقات اللغة والدراسات البينية، ع٥، ٢٠١٧.

٧. عبده العزيزي، معالم التداولية في كتاب النظرات للمنفلوطي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٧.

٨. عيد مهدي بلبع، التداولية البُعد الثالث في سميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، دار بلنسية، شبين الكوم– المنوفية، مصر، ط١، ٢٠٠٩.
٩. عيد مهدي بلبع، المغالطة الحجاجية في سياق الاستشهاد: تأصيل منهجي، سياقات اللغة والدراسات البينية، ع٥، ٢٠١٧.
١٠. فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تعريب: صابر الحباشة، وعبد الرازق الجمايعي، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن، ط١، ٢٠١٢.
١١. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لنظرية الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٥.
١٢. مصطفى لطفي المنفلوطي، النظرات، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠٢– ١٩٨٢.
١٣. نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة، مراجعة نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

المصادر والمراجع الأجنبية:

14.Geoffery.N.Leech: Principle of Pragmatics : Geoffery.N.Leech, Longman, London And New York,1983.
15.Grice,Logic and conversation, in Cole peter and Morgan.Jerry.L.(eds): Speech acts, in Syntax and Semantics. Vol.3,New York.1975.
16.How to do things with words: J. L. AUSTIN , Oxford University Press, Amen House, London, E .C .q, 1962.
17.John Rogers Searle, Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language, symindicate of the university of Cambridge, united kingdom 1999.
18.Labov, William, Sociolinguistic Patterns, University of Pennsylvania Press, 1972.